The Role of Tolerance in Promoting Unity and Social Cohesion

Analytical Theoretical Study

Saleh Samer AlDulaimi
snassar@sharjah.ac.ae
Doctorate in Sociology
University of Sharjah – College of Arts Humanities and Social Studies –Department of Sociology

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v1i144.3756

Abstract:

Tolerance is a great human principle and value that carries within it noble and precious meanings as it is the adornment of virtues and sits on the throne of other values. As Muslims, it is a good instinct that calls us to adhere to good manners and good deeds, and on top of it is tolerance.

Our world today is in dire need of effective tolerance and positive coexistence between people more than ever, because the rapprochement between cultures and interaction between civilizations is increasing day by day thanks to the information and communication revolution and the technology revolution that removed the temporal and spatial barriers between nations and peoples until everyone lived in a cosmic village It is great, and tolerance in our time has become an indispensable necessity to achieve coexistence, stability and societal security.

The research aims to identify the forms of tolerance and its role in achieving societal cohesion and stability, and its most important obstacles and effects on the individual and society.

Keywords: role, tolerance, promoting unity, community cohesion

دور التسامح في تعزيز الوحدة والتماسك المجتمعي
دراسة نظرية تحليلية

د. صالح سمير الدليمي
دكتوراه علم الاجتماع
جامعة الشارقة–كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية–قسم علم الاجتماع

(مُلَخَّصُ البَحث)

التسامح مبدأ وقيمة إنسانية عظيمة تحمل في ثناياها معانٍ نبيلة وثمينة كونها زينة الفضائل وتتربع على عرش القيم الأخرى فهي تنقي القلب وتطهر الروح وترق لها النفس وتقرب الأشخاص من بعضهم البعض وتجعلهم مترابطين روحياً ومعنوياً وتعزز الشعور بالرحمة والمودة والتعاطف بين الناس، ولا سيما أنّ الفطرة التي فطرنا الله عليها بوصفنا مسلمين هي فطرة طيبة تدعونا للالتزام بالخلق الحسن والعمل الصالح وعلى رأسه التسامح..

عالمنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعال والتعايش الإيجابي بين الناس أكثر من أي وقت مضى نظراً؛ لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوماً بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجيا التي أزالت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب حتى أصبح الجميع يعيشون في قرية كونية كبيرة، والتسامح في عصرنا الراهن أصبح ضرورة لا بد منها لتحقيق التعايش والاستقرار والأمن المجتمعي. ويهدف البحث التعرف على أشكال التسامح ودوره في تحقيق التماسك والاستقرار المجتمعي، وأهم معوقاته وآثاره على الفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: الدور، التسامح، تعزيز الوحدة، التماسك المجتمعي.

المقدمة

التسامح مبدأ وقيمة إنسانية عظيمة تحمل في ثناياها معانٍ نبيلة وثمينة كونها زينة الفضائل وتحتل موقعا متقدما بين القيم الأخرى، فهي تنقي القلب وتطهر الروح وترق لها النفس وتقرب الأشخاص من بعضهم بعض وتجعلهم مترابطين روحياً ومعنوياً وتعزز الشعور بالرحمة والمودة والتعاطف بين الناس، وتعزيز الوحدة والتماسك المجتمعي ولا سيما أنّ الفطرة التي فطرنا الله عليها بوصفنا مسلمين هي فطرة طيبة تدعونا للالتزام بالخلق الحسن والعمل الصالح وعلى رأسه التسامح.

يعدّ في وقتنا الحالي التسامح من أهم المواضيع التي يجب التركيز عليها، نظرا لدوره الكبير وأثره الإيجابي والفعال في حياتنا في ظل ما يواجهه العالم من مشكلات عديدة وأزمات وحروب انعكست آثارها السلبية في البشرية، وجعلت العالم بأسره بأمس الحاجة إلى التسامح بكل ما تحمله الكلمة من معنى والعمل على تطبيقه قولاً وفعلاً، ويعد ضرورة حتمية لتحقيق مصالح الأفراد والمجتمعات ككل.

وكثيراً ما تقترن فكرة التسامح في عديد من المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية، ذلك لأن التسامح بالعموم يشمل نواحي الحياة كافة ويمثل حجر الأساس في بناء المجتمعات الآمنة والمطمئنة، فهناك التسامح الديني وهو أن يتعايش الإنسان مع الديانات كافة وممارسة الشعائر الدينية بحرية بعيداً عن التعصب وأيضا التسامح الثقافي وحرية التعبير والتحاور مع الآخرين دون تجاوز الآداب العامة للحوار فضلا عن تسامح العرقي وهو الابتعاد عن النظرة الدونية لبعض الأعراق أو الأصول.

ومما لا شك فيه أن مجتمعاتنا يجب أن تتبنى قيما راسخة مبنية على التسامح تعزز التعايش والتواصل بين الأفراد؛ لبناء مستقبل واعد ومشرق يقوم على علاقات إنسانية ناجحة؛ لأن الأمم الراقية لن تتقدم أو ترتقي إلا بالعمل والتعاون والتسامح والاحترام المتبادل، وبما يعود بالمصلحة والخير على جميع أفراد المجتمع ويحقق الهدف الأسمى للإنسان وهو عمارة الأرض وسعادة الناس وهناء معيشتهم، وإذا اختفت أو ضعفت قيمة التسامح ظهر العنف والتعصب والإرهاب اللذان يهددان الأمن والاستقرار المجتمعي.

ومفهوم التسامح من الخصال الجميلة والسمات الجليلة فقد أمر الله تعالى به ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ، سورة الحجر، لآية ٨٥﴾ وهو صفة من صفات الأنبياء العظماء وخير قدوة لنا في تطبيق العفو والتسامح الفعال والتعايش الإيجابي بين الناس هو رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ومن بعده الصحابة الأخيار، فقد أوصانا عليه الصلاة والسلام بإفشاء السلام ونشر التسامح والرحمة والمحبة حين قال: (أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك).

وعليه فإن مصطلح أو مفهوم التسامح هو أحد القيم النبيلة التي يدعو إليها الدين الإسلامي، وهو ركن مهم لبناء الثقة بين الأفراد في المجتمعات، فضلا عن أنه عامل مهم من عوامل توثيق أواصر الألفة والمحبة بين الناس. وهو في الوقت نفسه يعزز قيمة التعايش بين أفراد المجتمع المختلفين عن بعضهم، ويصون الحريات العامة، ويسهم التمسك به في بناء مجتمع قوي متماسك لا وجود للفتن والصراعات فيه.

ومن خلال ما سبق يظهر لنا أهمية دراسة مشكلة البحث وبمقتضاها يمكن أن نستخلص القضية التي يجب أن تدرس وهي بعنوان (دور التسامح في تعزيز الوحدة والتماسك المجتمعي) التي سوف نتناولها وفقا للمحاور الآتية:

المبحث الأول: العناصر الأساسية للبحث

أولا: مشكلة الدراسة:

يمثل التسامح فضيلة مدنية وضرورة سياسية وأخلاقية واجتماعية لا سيما في المجتمعات ذات التنوع السياسي، الديني، الطائفي، القومي، إذ لا يعد وجود التسامح ضرورة لازمة للمجتمعات التي تعاني من نزاعات أو صراعات فحسب، بل أن وجوده ضرورة لازمة لكل المجتمعات حتى في أوقات السلم عندما يكون ذا مكونات مختلفة. وعلى الرغم من تبلور التسامح مفهوماً ومضموناً وتطبيقاً بشكل أكثر وضوحاً ونضجاً في الفكر السياسي الحديث والمعاصر، إلا أن ذلك لا يعني خلو الحضارات القديمة منه، لأن خلو المجتمع من التسامح يعني معاناته من حالة دائمة من العنف والحروب الأهلية والخارجية بما لا يدع هذا المجتمع وحضارته يستقران ويزدهران ويستمران لولا اتباعهما التسامح بأنواعه المختلفة طالما أن تلك المجتمعات والحضارات لا تخلو من التنوعات المختلفة، ولا تعيش في عالم من لون واحد ولا شكل واحد (عباس،٢٠١٨، ٥).

ويعد عدم التسامح والعنف والتطرف من الظواهر الخطرة التي تهدد أمن الفرد والمجتمع، والواقع أن تطرف بعض الشباب في آرائهم وأفكارهم واتجاهاتهم نحو بعض القضايا الاجتماعية والسياسية ظاهرة تحتل موقعا في كل المجتمعات منذ أقدم العصور، ولكنها أخذت بعداً جديداً في المجتمعات الحديثة عندما أنتج هذا التطرف ظواهر كالعنف والإرهاب والعدوان على الأبرياء والممتلكات وفوضى الأمن بالمجتمع، وهذه ظواهر تؤثر في مسيرة المجتمع التنموية في مجالات الحياة المختلفة، وفي الوقت نفسه تهدد الأمن والاستقرار المجتمعي.

ويمثل التسامح في تطبيقه والالتزام به دلالة واضحة لجودة العلاقات الإنسانية، وبالتسامح يجري تجنب العنف والإجبار والإكراه، ومن دون التسامح فإن السلام عامة والسلام الاجتماعي غير ممكنين في أي مجتمع من المجتمعات، وهو عامل مهم ومُعزز لثقافة السلام بين الأفراد والجماعات والشعوب.

يعد التسامح من القيم الرفيعة، ومن العناصر الإيجابية التي تقوي الروابط بين الناس، وتشيع فيهم الألفة والمحبة والوئام. ومن أبسط صور المسامحة، أن يسقط الشخص حقه ويتنازل عنه تجاه غيره أو أن يطلب المعتدي المسامحة من المعتدي عليه، فيستجيب الآخر لطلبه. فالمسامح بعمله هذا قد بدل الكراهية إلى المحبة، والعداوة إلى الألفة. وهذا ما نلمسه

ونلاحظه على أرض الواقع في مراسم الصلح التي تحصل بين العائلات حين ينشب بينها خلاف (صبري ،٢٠٠٤، ١٤١).

يعدّ مفهوم التسامح ، مفهوما أخلاقيا وفكريا تنظيريا جرى تفعيله لمواجهة مفاهيم التشدد والتزمت والتعصب والانغلاق والانحياز والعداء والإفراط والتفوق على الآخرين، ولاسيما في الأفكار والآراء والاعتقادات الدينية منها والتاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية والعرقية ؛ فتعددت دلالاته واتسعت طروحاته ، فصار يعبر عنه بلغة الحوار وعلى وفق ما يعرف في حاضرنا المعاصر من حوارات تنطلق من مفهوم التسامح في المنهج والموضوع ، أو في الفكر والواقع أو في العقيدة والسلوك ؛ لتعميق المفهوم ولتفعيل دلالاته ولربط طروحاته بالمتغير التاريخي والحضاري للواقع (الجبوري،نظله،٢٠٠٩، ٥).

وينظر أيضا لمفهوم التسامح على أنه: رؤية وتصور متفهمة أو متحررة فكريا حيال العقائد والممارسات المغايرة أو المضادة لعقائد المتسامح وممارساته أي هو قابلية اكتسابيه وثابتة نسبيا لنمط خاص من الأعمال الهادفة إلى غاية معينة (الجبوري، ولاء، ٢٠٠٩، ٢١٣).

لقد طرأ على عالمنا المعاصر متغيرات كثيرة وتطورات عديدة في مختلف المجالات وكان لها آثار بعيدة المدى في العلاقات بين الأمم والشعوب والحضارات والأديان، وحدثت في بداية الألفية الجديدة أحداث جسام كان لها انعكاسات سلبية على صورة الإسلام والمسلمين في العالم، فقد تعرض الإسلام والمسلمون في السنوات الأخيرة لحملة ظالمة من الافتراءات والمزاعم التي أرادوا أن تلصق بالإسلام ظلماً وعدواناً، ومنها التركيز على التعصب والإرهاب وترويع الأمنين ورفض الآخر، وغير ذلك من دعاوٍ لا أصل لها في الإسلام ولا سند لها من العلم ولا من الواقع التاريخ . فالحضارة الإسلامية التي انطلقت من تعاليم الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان قد ضربت أروع الأمثلة في التسامح والتعايش الإيجابي بين الأمم والشعوب من مختلف الحضارات والثقافات والأديان والأجناس ولا تزال هذه التعاليم الإسلامية حية وقادرة على صقل عقل الأمة وتوجيه سلوكها وتعاملها مع البشر في كل زمان ومكان (زقزوق،٢٠٠٤، ٤٧).

وفي عالمنا الراهن تتعرض المجتمعات الإنسانية لحالات من التغير المستمر والسريع مما يؤدي إلى انعكاس هذه التغيرات على عناصر النظام الاجتماعي عموماً، والمنظومة القيمية بعدّها أحد موجهات السلوك، وقد تخلق هذه التغيرات تناقضاً بين قيم واتجاهات الأجيال المختلفة، بسبب ما تحمله من قيم جديدة بوصفها أحد متطلبات عملية التغير هذه. وهي عادة ما تكون وراء الصراعات القيمية بين جيل الشاب وجيل الكبار وهنا تؤدي مؤسسات التنشئة الاجتماعية دورها الفاعل كونها وسائل ضبط في توجيه أفراد المجتمع

سلوكياً وقيماً، وكلما كانت عمليات التنشئة متناسقة ومتكاملة بين مؤسسات المجتمع المختلفة انعكس ذلك بشكل إيجابي على سلوك الفرد والمجتمع، وكلما كانت عملية التنشئة مشوشة ومتناقضة، وغير متناسقة أثرت في سلوك الفرد والمجتمع (الدليمي،٢٠١٣، ٤٣٢).

تؤثر البيئة الاجتماعية في مفهوم التسامح سلبا أو إيجابا فالأسرة التي تربي أبناءها على حب التسامح تغرس في شخصيتهم هذا المفهوم ويصبح جزءا مهما من سلوكهم اليومي عند التعامل مع الآخرين، وقد كشفت دراسة (صبيح، ٢٠١٢) بوجود علاقة بين العدائية وأسلوب المعاملة الوالدية. كلما ساءت المعاملة الوالدية زاد مقدار العدائية عند الطالبات. وكذلك أوضحت دراسة (محمد،٢٠١٧) بأنه يمكن تعزيز قيمة التسامح من خلال تضمين هذه القيم عند تصميم البرامج والمناهج الدراسية.

عالمنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعال والتعايش الإيجابي بين الناس أكثر من أي وقت مضى نظراً لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوماً بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجيا التي أزالت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب حتى أصبح الجميع يعيشون في قرية كونية كبيرة، والتسامح في عصرنا الراهن أصبح ضرورة لا بد منها لتحقيق التعايش والاستقرار والأمن المجتمعي.

ولذلك فان الدراسة الحالية دراسة وصفية تحليلية اعتمد فيها الباحث ما تمكن الحصول عليه من توجهات نظرية تناولت موضوع التسامح بشكل مباشر أو غير مباشر، ومحاولة تحليلها والخروج منها بتوجهات ترتبط بموضوع الدراسة الحالية. ولكون هذا المنهج يتلاءم مع مثل هذه الدراسات، إذ لا بد من وصف إشكالية العلاقة بين مفهوم التسامح ودوره في تعزيز الوحدة والتماسك المجتمعي في ظل ما تواجه مجتمعات العالم اليوم من تحديات العصر الراهن، وبيان وجهات النظر المختلفة التي تناولته، ومن ثم تحليل ما جرى الحصول عليه من وجهات النظر أو من طروحات فكرية في هذا المجال للوصول إلى حقيقة ما تواجهها مجتمعاتنا اليوم من تحديات.

ثانيا: تساؤلات الدراسة:

السؤال الرئيس في المشكلة: دور التسامح في تعزيز الوحدة والتماسك المجتمعي؟

ويندرج تحت هذا السؤال بعض الأسئلة الفرعية وهي:

١-ما أشكال التسامح؟

٢-ما أسباب ضرورة نشر ثقافة التسامح؟

٣-ما دور التسامح في تحقيق التماسك والاستقرار المجتمعي؟

٤-ما المعوقات التي تواجه تحقيق التسامح؟

٥- ما آثار التسامح على الفرد والمجتمع؟

٦- ما أبرز المقترحات التي يمكن من خلالها تنمية قيمة التسامح؟

ثالثا: أهداف الدراسة:

١-التعرف على أشكال التسامح.

٢-التوصل إلى أسباب ضرورة نشر ثقافة التسامح.

٣-التعرف على دور التسامح في تحقيق التماسك والاستقرار المجتمعي

٤-التعرف على معوقات التسامح.

٥-التعرف على آثار التسامح على الفرد والمجتمع.

٦-الوصول إلى أبرز المقترحات التي يمكن من خلالها تنمية قيمة التسامح.

رابعا: مفاهيم الدراسة:

مفهوم الدور: يعرف الدور بأنه مجموعة من التوقعات لشخص يشغل وضعاً معيناً في النسق الاجتماعي (عفيفي،٢٠٠٧، ٢٨٤). أو هو أنموذج يتمركز حول بعض الحقوق والواجبات ويرتبط بوضع محدد للمكانة داخل جماعة أو موقف اجتماعي معين ويحدد دور الشخص في أي موقف عن طريق مجموعة توقعات يعتنقها الآخرون كما يعتنقها الشخص نفسه (غيث، ٢٠٠٦ ،٧٣). الدور إذن هو السلوك الذي يعكس قيمة التسامح في المجتمع وما يترتب عليها من الحقوق والواجبات.

مفهوم التسامح: يعدّ مفهوم التسامح واحدًا من المفاهيم المثيرة للجدل؛ وذلك لأنه من المصطلحات التي تُستخدم في السياقات الاجتماعية والثقافية والدينية لوصف مواقف واتجاهات تتسم بالتسامح (أو الاحترام المتواضع)، أو غير المبالغ فيه لممارسات وأفعال أو أفراد لا تتسق سلوكياتهم، أو معتقداتهم، أو انتماءاتهم العرقية، أو الطائفية مع الغالبية العظمى من المجتمع، ويختلف استخدام مفهوم التسامح من شخص لآخر ومن ثقافة لأخرى.

جذور لفظ التسامح في المدونات اللغوية العربية موجود، وهو السماح والسماحة، ومنه أُخذ مصطلح التسامح، وبتتبع الاستعمال اللغوي لهذا الجذر أن العرب استعملوه في المعاني الآتية:

المعنى الأول :يقول (ابن منظور): السماح والسماحة الجود... يقال سَمَحَ وأَسْمَحَ إِذا جاد وأَعطى عن كَرَمٍ وسَخاءٍ. (ابن منظور،١٤١٤ هـ.(

المعنى الثاني :المتابعة والانقياد يقول الأزهري في التهذيب: وسَمَحت النَّاقة في سرها إذا انْقادت وأسرَعَتْ (الأزهري، ٢٠٠١ م، .(48

المعنى الثالث: المساهلة، وقد ورد ما يدل على هذا المعنى في كلام العرب، يقول الجوهري في الصحاح: والمسامحة: المساهلة. وتسامحوا: تساهلوا... والتسميح: السر السهل (الرازي، ١٤٢٠ هـ، ..(32

ويقول الزبيدي في التاج: والمساهلة: كالمسامحة فهما متقاربان وزنا ومعنى (الزبيدي، ١٢٠٥ هـ، ٤٨٦).

المعنى الرابع: الموافقة على المطلوب، قال (ابن سيده) في المحكم: وسامَحَ: وافقني على المطلوب. أنشد ثعلب: لو كنتَ تُعطِي حين تُسألُ سامحَت لك النفسُ واحْلَوْلاكَ كلُّ خليلِ (ابن سيده، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ ،٤٨٨). فهذه الاستعمالات اللغوية الأربعة التي أوردتها المعاجم متقاربة، دالة على اللين، والعفو، والسهولة، والتوافق مع المخالف، وهو المعنى الذي يعبر عنه لفظ التسامح الذي تنتج عنه السلاسة والمرونة في التعامل بين الناس، وهذا ما استنتجه (ابن فارس) اللغوي بعد تأمله في هذه المعاني ،إذ قال: سمح: السين والميم والحاء أصلٌ يدلُّ على سَلاسةٍ وسُهولة (ابن فارس، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م، . (454

ويعرف التسامح بأنه موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعلمية التي تصدر من الغير، سواءأكانت موافقة أم مخالفة لمواقفنا (الجابري،2007، .(20

ويعرفه (نيكلسون): فضيلة الإمساك عن ممارسة المرء سلطته في التدخل بآراء الآخرين وأعمالهم، علماً أن هذه الآراء والأعمال تختلف عن آراء الشخص المذكور وأعماله فيما يظنه مهما إلى حد أنه لا يوافق عليها أخلاقياً (البداوي،٢٠٠٨، ١٤٤٩). وعليه فإن مصطلح أو مفهوم التسامح يعبر عن دعم تلك الممارسات والأفعال التي تحظر التمييز العرقي والديني فهو على النقيض من التعصب، الأمر الذي قد يعدّه بعضهم وسيلة أو دعوة للتهاون مع السلوكيات أو العادات الشاذة أو المنحرفة عن المعايير والقيم الأخلاقية والإنسانية السائدة، كونه لا يعمل على الارتقاء بمستوى المبادئ أو الأخلاقيات الفعلية على غرار ما يحدث في المفاهيم الأخرى المتمثلة بالاحترام والحب والمعاملة بالمثل. ولكن جوهر مفهوم التسامح يعني بأنه قبول وتقدير الآخر المختلف عنا، والإقرار له بإحترام حقه في ممارسه شعائره، والتعبير عن آرائه ومعتقداته وأفكاره، وهي ضرورة وواجب أخلاقي وسياسي واجتماعي وقانوني التي تعمل على الحفاظ على تماسك المجتمع ووحدته واستقراره.

مفهوم التعزيز: إنه الإجراء الذي يؤدي فيه حدوث السلوك الى توابع إيجابية أو إزالة توابع سلبية (أبو حميدان،٢٠٠٣، ١١٧). أو هو عملية تقديم مثير مرغوب فيه أو إزالة مثير غير مرغوب فيه بعد القيام بالسلوك المرغوب فيه مباشرة مما يزيد من إحتمال تكرار سلوك مرغوب فيه (أبو حماد،٢٠٠٧، ٢٠٠). فالتعزيز هو العملية التي بمقتضاها تتم عملية زيادة أو تقوية إحتمالية تكرار القيام بسلوك إيجابي أو استجابة معينة.

مفهوم التماسك المجتمعي :يعبر عن حالة من حالات التفاعل الرأسي والأفقي بين أعضاء المجتمع ويعبر عن قوة الروابط بين أفراد الجماعة ويعدّ من أولويات مؤسسات التنشئة الاجتماعية. ويعرف(أتزوني) التماسك الذي ركز فيه على تلك الصورة المقنعة

بوصفها علاقة تعبيرية إيجابية بين أثنين أو أكثر من الفاعلين (الجوهري،١٩٩٨، ٩٩). ويشير مفهوم التماسك أيضا إلى درجة التعاون والتماسك في العلاقات بين أفراد الجماعة فكلما كانت حالة التماسك قوية فإن أفراد الجماعة يكون لديهم دافع الاستمرار في الجماعة بينما في حالة الترابط والتماسك الضعيفة يميل الأفراد الى ترك الجماعة (العميان،٢٠٠٥، ١٩١). ويعّد التماسك المجتمعي العامل الأساسي في خلق التكامل والتضامن المجتمعي، لذلك تسعى كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية إلى إكساب الأفراد القيم السليمة لتعزيز هذا المفهوم من أجل بناء جيل يكون قادرا على المساهمة الفعلية في بناء المجتمع وتطويره.

المبحث الثاني: التسامح وتعزيز الوحدة والتماسك المجتمعي

أولا: أهمية التسامح

لقد أكد إعلان اليونسكو الصادر عام ١٩٩٥ أن التسامح (ليس مجرد التزام أخلاقي وإنما هو ضرورة سياسية وقانونية)، ويعني ذلك أن التسامح فضيلة وممارسة تجعل السلم ممكناً بين الجماعات والشعوب باستبدالها الصريح للحرب والعنف بالتسامح الذي يمتلك الحق في تحييد ووقاية وحماية وتربية الشعوب في ممارستها للسياسة والمؤسسات الاجتماعية من أجل ثقافة السلم ،ويعدّ التسامح ضرورة وجودية وقيمة إنسانية تفرضها سنة الوجود، وترجع ضرورة التسامح مع الآخر أيضاً إلى أنه شرط لاستمرار الحياة الإنسانية وتعايش مكوناتها التي لا يمكن توحيدها على صورة نوع أو رأي واحد، فالاختلاف والتنازع البشريين طبيعة اجتماعية أكدتها البشرية، إن المجتمع الذي تغيب عنه روح التسامح يكون عرضة للاختراق وإشاعة الفتن بين أفراده لأنه غير محصن ضدها مهما كان متطوراً من النواحي التقنية والمدنية، وحيث تسود الكراهية لأسباب سياسية، اجتماعية.. يكون التسامح ضرورة سياسية ومجتمعية (عزالدين، ٢٠٠٨، ١١.)، وهو استجابة للمتطلبات الاجتماعية والسياسية للتعايش والسلم في أوقات الاضطرابات الإيديولوجية الكبيرة(وطفة ، ٢٠٠٥، ٢٢١).

ويستلزم السلوك الحضاري قبل وفوق كل شيء احترام التنوع، والاعتراف بنسبية القيم وعدم وجود قيم أفضل وأصدق من قيم أخرى فلا نفضل قيمنا على قيم الآخرين، بل يجب أن نعامل كل الناس بالتساوي، ويعد الاحترام المتبادل الوسيلة لتأمين الحقوق الأساسية للآخرين ؛ لأنه يقوم على الإقرار بحق الناس في حياتهم بأن تكون لهم قيمهم وآراؤهم الخاصة التي لابد من الاعتراف بها واحترامها وفهمها، ويساعد التسامح على ربط كل منا مع الآخرين في حوار يقوم على الفهم المتبادل والاعتراف أو القبول المتبادل فلابد أن يلتزم الأفراد بقيم الاحترام المتبادل واحترام حقوق الآخرين((ديلو ، ٢٠٠٨، ٥٥ : ٥٧.).

التسامح مع النفس ومع الآخرين أصبحت ضرورة حياتية في علمنا المعاصر اليوم بالنظر لما يعيشه من صراعات وتناقضات قومية ودينية وطائفية، وحتى يتحقق الاستقرار والأمن المجتمعي لا بد من تسامح الأفراد بعضهم مع بعض، وإن اختلفت ثقافتهم وعقيدتهم الدينية وتوجهاتهم الأيديولوجية، لأن الإيمان بالتسامح على وفق هذا المنظور يعد أحد العوامل المهمة لتحقيق التماسك المجتمعي والأمن الاجتماعي.

ثانيا: مبادئ التسامح

١- التسامح يقوم على الاعتراف بحرية وكرامة كل إنسان، فنحن مطالبون أخلاقياً ودينياً أن نكون متسامحين مع كل البشر، بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والثقافية والدينية.

٢- التسامح شرط من شروط السلام الضروري للمجتمع الإنساني.

٣- الاختلاف بين الناس وأجناسهم ولغاتهم وعقائدهم لا ينبغي أن يكون منطلقاً أو مبرراً للشقاق والنزاع الأسري بين الأمم والشعوب، بل الأحرى أن يكون هذا الاختلاف والتنوع دافعاً إلى التعارف والتآلف بين الناس.

٤- الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، فكما أعطي لنفسي الحق أن يكون لي رأيي الخاص ووجهة نظري المستقلة، فكذلك ينبغي أن أعطي الحق ذاته للآخر، وليس ذلك في الأمور اليومية العادية فحسب، بل حتى في أمور الدين والفكر والسياسة.

٥- الحوار ضرورة من ضرورات العصر، وعلى الجميع المستويات، الأفراد والجماعات وعلى مستوى العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة، وأساس الحوار هو الاحترام المتبادل واحترام حرية الآخرين، والتزام الموضوعية في الحوار (الشيخ ،٢٠٠٣، ٨).

٦- تعليم التسامح للأجيال يجري عن طريق القدوة، وليس عن طريق التلقين.

٧- العدوان على الحقوق الإنسانية العامة لجميع البشر، يعد عدواناً على تعاليم الدين.

٨- التسامح عنوان للدين الإسلامي، وسيظل كذلك الى آخر الزمان (زقزوق ، مرجع سابق، ص٢٣).

ثالثا:أشكال التسامح

يعد التسامح أحد المبادئ الإنسانية، والتسامح يقوم على التخلي عن الرغبة في إيذاء الآخرين لأي سبب قد حدث في الماضي وهو رغبة قوية في تأكيد أهمية العيش بسلام مع الآخرين. والتسامح أيضاً هو الشعور بالرحمة والتعاطف والحنان وكل هذا مهم لنا ولهذا العالم من حولنا. وتكمن أهميّة التسامح في حياتنا بكونها أصلا ثابتا من الأصول التي قامت بها الأديان ولا سيما الدّين الإسلاميّ، وقد بيّن الله تعالى تسامحه مع عباده في العديد من العبادات التي أُشير إليها في القرآن الكريم، فقد جاء عن التسامح في صوم المريض وغير المقتدر قوله تعالى من سورة البقرة: {أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سورة البقرة آية ١٨٤}، وقد أشار الله –عزّ وجلّ– إلى ضرورة التسامح والصفح وفضله في قوله من سورة الشورى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، سورة الشورى ،آية ٤٠}

ويمثل التسامح فضيلة مدنية وضرورة سياسية وأخلاقية واجتماعية خاصة في المجتمعات ذات التنوع السياسي، الديني، الطائفي، القومي، وأن وجود التسامح ضرورة لازمة للمجتمعات التي تعاني من نزاعات أو صراعات، وفي الوقت نفسه ضرورة لازمة لكل المجتمعات من أجل العيش بسلام.

ومن أشكال التسامح ما يأتي:

١- التسامح الديني:

إن التسامح يُعدّ خطاً حضارياً يقضي بمنح الإنسان الحرية في العقيدة والتعبير عن الآراء والأفكار التي تغاير عبادته، كما يسمح بالعيش وفقاً للمبادئ والمعتقدات التي لا تدين لها بها سوياً، فقد حرص الإسلام على تأكيد هذا التسامح بين الأديان بجعله عنصراً جوهرياً من عناصر عقيدة المسلمين، فالأديان السماوية جميعها في نظر الإسلام متصلة لرسالة واحدة جاء بها الأنبياء والرسل من عند الله عز وجل (زقزوق، مرجع سابق، ١٥).

وضرب الرسول الكريم أعظم الأمثال في قيم التسامح، وأيضا موقفه صلى الله عليه وسلم مع الآخرين لدعوتهم إلى دخول الإسلام، وعدم إجبارهم على اعتناقه، وترك الحرية لهم.

٢- التسامح السياسي

ففي إطار مجتمع حافل بالتعددية بأشكالها كافة، وكذلك بالصراعات السياسية والفكرية، يصبح التسامح السياسي ضرورة حياتية كي يظل قائماً ومتوازناً، إذ تتجلى هذه الأهمية لكونه يرتكز على متغيرات: الثقافة والفاعلية السياسية، والصراعات الأيديولوجية، وانضمام المواطنين إلى روابط ومنظمات طواعية، فضلا عن الممارسة الديمقراطية وطبيعة النظام السياسي، فكلما كانت الثقافة السياسية تقبل مساحة واسعة من التنوع السياسي، كلما زاد الميل نحو التسامح؛ وذلك لأن توافر التنوع والتعدد في أنماط السلوك وطرق التفكير يجعل العالم أكثر ثراء، ومن ثم تمارس الحرية ويزداد التسامح(عبدالوهاب ،٢٠٠٦، ١٣٨-١٣٩).

٣- التسامح الاجتماعي:

التسامح الاجتماعي أحد الأبعاد الرئيسة في العصر الحديث أكثر منه في أي عصر مضى، وأصبح لا غنى عنه لاستمرار وتطور المجتمع كمنظومة فكرية وأخلاقية؛ لأن غياب

التسامح يعني سيادة عقلية التحريم والتجريم من جماعات التطرف والتشدد ما اصطلح على تسميته بالأصولية أو ما يتعلق بنمط الحياة (شعبان، ٢٠٠٥،٥٨).

لذلك فإن نجاح الفرد اجتماعياً يعتمد على قدرته في تكوين علاقات اجتماعية صحيحة ومرضية له وللآخرين، تقوم أساساً على المحبة والتسامح والتعاطف، وتقديم حسن النية بعيداً عن الشك والعدوان، والتعصب والتزمت، أو الاعتداء على الآخرين أو الاستهزاء بهم والتهوين من قدرهم أو عدم الاهتمام بمشاعرهم وتسفيههم، ويدعونا الإسلام العظيم للتعافي والتصالح، ورفض التطرف والغلو، ويحثنا على نسج علاقتنا على أساس الاحترام المتبادل والمحبة والوئام وتبادل الثقة (شعبان ، مرجع سابق، ٥٩).

٤- التسامح الفكري:

يقصد بالتسامح الفكري احترام الآراء والأفكار المخالفة وفقاً لآداب الحوار وعدم التعصب، فالاجتهاد والإبداع حق لكل إنسان بغض النظر عن لونه، جنسه، دينه (حسين،٢٠١٠، ٩٦) ونقيض التسامح الفكري هو اللاتسامح الفكري الذي يعني حجب وتحريم حق التفكير والاعتقاد والتعبير بفرض قيود وضوابط تمنع ممارسة هذا الحق، بل وتنزل عقوبات بالذين يتجرؤون على التفكير خارج ما هو سائد سواء أكان ذلك بقوانين مقيّدة أم عبر ممارسات قمعية (شعبان، مرجع سابق، ٥٨).

٥- التسامح الثقافي:

يقصد بالتسامح الثقافي قبول واحترام القيم والتقاليد والتوجهات الثقافية المختلفة، وعدم التمسك بالقيم والتقاليد والتوجهات الثقافية الخاصة، وتأييد كل رغبة في التجديد أو أي شكل أو نمط للتغيير (شعبان، مرجع سابق، ٦٠). ويعبر التسامح الثقافي عن قبول واحترام الخصائص المختلفة لثقافات الأخرى في العالم ولأشكال التعبير المختلفة الخاصة بكل منها أو لأساليبها المختلفة في الحياة. إذ يعني التسامح التجانس مع الاختلاف، وهو يزداد مع المعرفة وانفتاح العقل على العالم وزيادة الاتصالات والتفاعلات مع الثقافات الأخرى، فضلاً عن حرية التفكير والمعتقدات والممارسات، ومن ثم فإن التسامح يعبر عن اتجاه نشط ينشأ ويزداد بالاعتراف بالحقوق الإنسانية الكلية والحريات الأساسية للآخرين (عبد الوهاب، مرجع سابق، ص٧٧).

رابعا: عوائق التسامح

١- التخلف الحضاري وعدم القدرة على التوفيق بين التنوع الثقافي القائم؛ مما يؤدي إلى الصراع والنزاع والتناحر الحضاري والاحتضار الفكري.

٢- الانغلاق العقلي الذي لا يقوى على البحث عن الحقيقة في كل شي؛ لأنه عقل مشروط بفردية ذاتية وخلقية جامدة صلبة فلا يتعايش مع العقول الأخرى.

٣- الانكفاء على الذات وتغلغل آفة التعصب والعنصرية في فكر ووجدان بعض الفئات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

٤- جملة العادات والتقاليد التي ورثناها عن الماضي، والتي تمايز فيها العنف، على حساب مفاهيم السلم والتسامح.

٥- التربية الوالدية، وثقافة الوالدين، وأساليب التنشئة غير التسامحية.

٦- الأنانية والأثرة وعدم الاستعداد للتنازل عن بعض الحاجات والرغبات.

٧- غياب التفاهم، وغياب العدالة الاجتماعية في أكثر الأحيان، وغياب الحوار والاستعداد للحوار والجهل بأصول وآداب الحوار.

٨- عوامل الفقر والجهل والتحجر، والظلم والجبروت في الحكم وسوء تصريف الشؤون العامة، وعدم الاحتكام إلى قضاء مستقل، هي من الأسباب الرئيسة لانتشار عدم التسامح.

٩ -الحرب، وتعدّ من أكبر العوائق أمام التسامح، فالحرب هي نتاج الحرب، ومشاهد الدمار والاضطهاد والتدمير، تبين بصورة جلية المخاطر الناجمة عنها والتي لا تؤدي إلى تقدم الإنسانية ولو خطوة واحدة إلى الأمام، بما يثيره من كراهية وأحقاد فالحرب في حقيقتها نفي للتسامح بجملته (أبو هاشم، 2013، .(72

خامسا: آثار التسامح

التسامح خلق إسلامية أصيلة، ومبدأ أخلاقي عظيم شرعه الإسلام وحث عليه من خلال مصادره كالقرآن والسنة؛ وذلك لأجل تحقيق مصالح الناس، وجلب الخير لهم، ودفع الشر عنهم، وله آثار إيجابية صالحة ومهمة في الفرد والمجتمع من الجوانب الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية وبيان ذلك على النحو الآتي:

١- سلامة الصدر والحصول على التزكية النفسية، والتطهير القلبي، والزيادة من الرقي الشخصي، والتمتع بشخصية إيجابية نافعة ومفيدة لنفسه ولغيره.

٢- الحصول على المحبة، والأخوة، والألفة، والفوز بمحبة الآخرين وتقديرهم، والحد من المشاكل بين الأصدقاء، ونسيان الماضي الأليم، وفتح بداية جديدة للعلاقة بالنفس والآخرين.

٣- يساعده على ضبط النفس، ويعلمه كيف يسيطر على نفسه ويعفو عن الآخرين.

٤- التخلص من الرغبة في الانتقام، وألم انتظار الفرصة السانحة الطويلة له.

٥- التخلص من سوء الظن المؤلم، والأفكار السيئة المزعجة، والعادات غير المستحبة.

٦- يصبح قدوة حسنة لغيره، فيقتدون به ويجعلونه موضع احترام وتقدير.

٧- الأهم من هذه الأمور كلها حصول المتسامح على الأجر الكثير الذي لا يعلم مقداره إلا الله، ونيل رضوانه سبحانه وتعالى (سعيد، ٢٠١٨، ٢٦).

سادسا: ضوابط التسامح

التسامح خلق رفيع، وفضيلة محببة للنفوس، وهو شرط للسلام والوئام في سياق الاختلاف وغيابه يعني انتشار العنف والتعصب وسيادة عقلية التجريم والتحريم والتنميط، سواء على الصعيد الفكري أو السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي أو ما يتعلق بنمط الحياة، ومع ذلك كله لا يؤخذ التسامح على إطلاقه، ولا ينبغي أن نتلقى دعاوى التسامح دون بصيرة ونظر ودراسة واعتبار، فكم من حق أريد به باطل، وكم من سم أشرب بالعسل، ومن ثم كان لابد للتسامح من ضوابط ومحددات وهي:

١- أن يكون تسامحاً مع القدرة على دفع العدوان ورد الإساءة والأذى، فلا يكون صمت العاجز وسلبيته تسامحاً، فالعفو لا يكون إلا مع المقدرة على جزاء السيئة بمثلها، هذا يشعر المعتدي بأن العفو إنما جاء سماحة ومن ثم يعيد حساباته ويخجل ويكون للتسامح أثره التربوي والاجتماعي، كما أن المتسامح الذي يعفو عن قوة تصفو نفسه وتعلو روحه، وهكذا يكون خيراً للجميع، ولكن أن يذكر العفو عن الضعف والعجز، فهذا يمثل شراً وهواناً وإذلالاً للمعتدي عليه، ومطمعاً وتمادياً واستقواء للمعتدي.

٢- التسامح ليس مطلقاً ولا مفتوحاً على كل الأوضاع والاحتمالات، بل يجب أن يكون مقنناً، وتراعي فيه نسبة الصواب والخطأ، فالتسامح المفرط غير المبالي يؤدي من جهة إلى ضياع الحقيقة ومن جهة أخرى إلى إفلاس التسامح ذاته، فمن الممكن إقامة علاقة مع الغير تتسم بعدم التسامح وبالاحترام في الوقت نفسه، كما أن رفض آراء الآخرين لا يعني الإساءة إليهم أو منعهم من التعبير عنها ويجب الدفاع عن الحقيقة من موقع القوة والإقبال على الحياة وتجاوز القيم البالية لكل ما هو ضعيف في الانسان.

٣- لا يجوز أن يفهم التسامح الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لتنظيم العلاقات بين المسلمين وأنفسهم من جانب، وبينهم وبين غير المسلمين من جانب آخر، على أنه نوع من الانفلات واللامسؤولية، فليس المقصود ذلك من التسامح، وإنما المقصود هو التسامح الذي لا يلغي الفوارق والاختلافات، ولا يتجاوز كذلك الخصوصيات.

٤- لا ينبغي أن يفهم التسامح على أنه موقف ضعيف، أو ينم عن الضعف، ولا هو موقف الامتنان أو التعالي بإبداء العفو والصفح من موقع الترفع عن الآخرين، ولا هو كذلك موقف التردد والاضطراب واللاحسم، وإنما هو الموقف الذي تتجلى فيه قوة الضمير، وتظهر فيه شفافية النزعة الإنسانية لدى المتسامح، وتسمو فيه روحه الأخلاقية (الزمزمي، ٢٠٠٧، ٨٠-٨١) .

سابعا: قيم اجتماعية طاردة للتسامح

من أبرز القيم الاجتماعية التي تتعارض مع التسامح: هي التطرف، والتعصب، والعنصرية، وفيما يأتي بيانُ ذلك.

١- التطرف:

استخدم مصطلحُ التطرف في الكتابات العربية للدلالة على التشدد، وتجاوز الحد في الدين. والتطرف مصطلحاً يُضاد مصطلحَ الوسطية الذي هو من الوسط الواقع بين طرفين، كما يقول الأصبهاني، وهو يحمل في طياته معنى العدل، فإن مصطلح الوسطية يدل على العدل والسماحة (أبو مصلح، ٢٠٠٦، ١٣٢). ولا شك أن التطرف إذا كان سلوكاً شخصياً أو جماعياً فهو لا يعترف بالتسامح؛ لأن ضيق أفق المتطرف أو المتطرفين يجعلهم لا يدركون فضيلة التسامح؛ لأنها غريبة عن معتقداتهم الجامدة، فالتطرف توقف عن الحركة الفكرية المنفتحة، في حين أن التسامح وليد هذه الحركة وابنُها البار.

٢- التعصب:

يأخذ التعصب أشكالاً عدة، فهناك التعصبُ العرقيُّ، والتعصبُ الثقافيُّ، والتعصب الدينيُّ، والتعصب الطائفيُّ، ومع ذلك كله فإن التعصب في مختلف صوره وتجلياته يؤكد جوهراً واحداً قوامُهُ الانقيادُ العاطفيُّ لأفكار وتصورات تتعارض مع الحقيقة الموضوعية، وهناك تعريفاتٌ له، أبرزها: إن التعصب من العصبية، والعصبية أن يدعو الرجلُ إلى نصرة عصبته، والتآلب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أم مظلومين، التعصب شعور الفرد بكراهية مبنية على تعميم خاطئ وجامد قد يوجه نحو جماعة معينة ككل، أو نحو أفراد معينين؛ لأنهم أعضاء في تلك الجماعة(وطفة، شريع،٢٠١٢، ٢٣). التعصب اتجاه سلبي نحو أفراد ينتمون إلى جماعة معينة، سواء قامت هذه الجماعة على أساس ديني أو سياسي، أو أنها تنتمي إلى طبقة اجتماعية معينة، أو لكونها تتسم بخصائص معينة (بدوي، ١٩٧٨، ٦٠).

والتعصب قد يأخذ صورة عقيدة دينية أو سياسية متطرفة تتميز بدرجة عالية من الانغلاق والتصلب؛ إذ تحتل إرادة التغلب، وإرادة الإقناع (التعصب غلو في التعلق بشخص، أو فكرة، أو مبدأ أو عقيدة بحيث لا يدع مجالاً للتسامح، وقد يؤدي إلى العنف والاستماتة) التعصب تحمس أعمى لعقيدة أو رأي أو مشاعر جارفة نحو شيء ما، التعصب حالة من تنظيم وتفسير معلومات عن جماعة أو طائفة معينة (سيد إسماعيل، ١٩٩٦، ٣٠).

المبحث الثالث: العلاقة بين ثقافة التسامح والاستقرار والأمن المجتمعي (رؤية سوسيولوجية)

يبدو أن الحاجة لتعميم وتأصيل ثقافة التسامح الاجتماعي داخل المجتمعات اليوم أصبحت ضرورية، ومهمة أكثر من أي وقت مضى، وأن تحويل هذه الثقافة والقيم إلى سلوك مجتمعي لا تقل أهمية عن تعميم هذه الثقافة وتأصيلها في المجتمع، وأن التعامل معها بوصفها كيانا فرديا مجردا، ومنفصلا عن السلوك البشري الواقعي لن يكون ذا فائدة. كما تبرز ضرورات سلوكيات التسامح وتصبح أكثر بعد الحوادث المفجعة التي مرت بها الشعوب، إذ إن غياب التسامح لا يضع ضوابط للمتخلفين في اقتراف الأعمال غير الإنسانية، والتوغل في معاقبة الخصم، بدون ضوابط أخلاقية أو قانونية.

ومن معاني التسامح، في السياق الذي يعني الحوار والتعايش السلمي والتنوع المثمر في العلاقات الاجتماعية القبول، التكافؤ، العدل، سعة الصدر وسعة الأفق، والتفاعل التبادلي، إن التسامح مفهوم وصفة رائعة، وخلق عظيم لو تحلى به جميع بني البشر لكانت حياتهم حلوة جميلة، رائعة تسودها المحبة، والوئام والأخوة والاتفاق. ومع هذه الأهمية الجسيمة لهذه الصفة وضرورتها في التعامل البشري إلا أنها في غالب الأحيان مجرد كلام وشعارات تهدف لتحقيق أهداف معينة، وتبقى بعيدة عن التطبيق العملي على أرض الواقع.

والتسامح المطلوب لا يعني أن يقبل الإنسان الظلم والاضطهاد، والتخلي عن المعتقدات والأفكار، وإنما يعني الاحترام والقبول للتنوع الثقافي ولأشكال التعبير الإنساني والصفات الإنسانية المختلفة، فهو تقبل الآخرين على ما هم عليه من معتقدات وأفكار، وما يتصفون به من صفات خلقيه كاللون أو الجنس أو العرق، وهو كذلك احترام للجنس البشري وعدم السخرية أو الاستهزاء أو الاحتكار للآراء والمعتقدات (القصراوي،٢٠٠٥،٣٤-٤٥)

إن الحديث عن التسامح الثقافي والاجتماعي بين الشعوب بمختلف أديانهم وأفكارهم واتجاهاتهم، لا يكون دون أن يلجأ كل شعب من الشعوب إلى رسم استراتيجية خاصة به، تأخذ بالحسبان، الإطار العام للتبادل الثقافي والاجتماعي واحترام خصوصيات الشعوب وتفهمها، وكذلك انتهاج إطار واضح من الاتصال لا لبس فيه ولا غموض أو تناقض، وتنمية ثقافة القوة العقلانية والقدرة على التقدم والتحديث، وتنمية قضية الانضباط والمسؤولية، والتسابق للعمل الجماعي، وبناء الوحدة الوطنية للشعب الواحد على الأسس الحقيقية للمواطنة الصالحة ومفهوم التصالح الاجتماعي (عثمان، ٢٠٠٨، ١-١٢) من جمال ديننا الإسلامي أنه رغبنا في التسامح، ودعانا إلى تقبل جميع الأديان السماوية، والعفو عن الغير في الإساءة، وتقبل آراء وأفكار الآخرين طالما أنها لم تأت على ذاتنا بالضرر، وهذه الصفة على وجه الخصوص وهي التسامح من أكثر الصفات الجميلة التي إن تحلى بها كل فرد

أصبح قلبه نقيًا صافيًا خاليًا من البغضاء والانتقام، وهذه أهم الآثار التي تعود على الفرد، أما أثر هذه الصفة على المجتمع فهي تتمثل في تحقيق التماسك والأمن المجتمعي الذي يتحقق من خلاله الاستقرار والتوازن المجتمعي، وفي الوقت نفسه يمكن أبناء المجتمع من العيش بسلام ويجعل الأفراد أكثر سعادة فهم جميعا كارهون للتطرف الذي يبعد أبناء المجتمع عن العيش بسلام ومحبي للتسامح، لأنه يوحد أبناء المجتمع بعضهم مع الآخر.

التسامح أمر رباني، وواجب ديني، دلت عليه آيات القرآن الكريم المتعددة، وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم الجلي، وإن سيادة هذا الخلق بين الناس، على اختلاف معتقداتهم وأديانهم وأجناسهم؛ دعت إليه عموميات الشريعة ونصوصها ومقاصدها المرعية، وقيمها الإنسانية. فالتسامح الذي يدعو لاحترام الإنسان وقبوله، والتواصل الحضاري معه، وإلغاء التعصب والكراهية، وكل ما يكرس العنف في المجتمعات، هو لب تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، فنجدها تُركز عليه وتراعيه في مختلف تشريعاتها. فكل الأوامر القِيَمِيَّة الشرعية التي تحض على الأخلاق الفاضلة؛ –والتي منها العفو والصفح والإحسان والمحبة والحلم والصلة والرفق واللين ومقابلة السيئة بالحسنة– بمجموع أجزائها، ومنثور أوامرها، دالة على أن التسامح فريضة شرعية، قد وضع لها الإسلام أسسا راسخة، وعقد لها المسلمون مواثيق متينة في تاريخهم (ابن عاشور،١٣٩٣ هـ، ٢).

ومن هذا المنطلق فثقافة التسامح تعمل على خلق وعي ثقافي اجتماعي للعلاقات الاجتماعية المبنية على التعاون والتبادل بين الأفراد، إذ إن العلاقة الاجتماعية التي تحدث بين الأفراد تختلف بحسب نمط المكانة والمركز والشهادة والثقافة المعرفية ،وكذلك حسب نمط الدين. فالثقافة كما تصورها الانثروبولوجيين بأنها كل القيم والمعاني والمعتقدات والعادات والقوانين يكتسبها الفرد من الجماعة التي تحيط به والمجتمع الذي يعيش فيه، ومن هنا نجد أن التسامح هو سلوك شخصي اجتماعي يصدر من قبل الفرد دون وقوع أي هجوم على حقوق الفرد الآخر بمعنى استعداد الفرد أن يترك الآخر بالتعبير عن حرية أفكاره وثقافة ولا يمكن مخالفته والتصدي له.

وعليه نجد أن قيم ثقافة التسامح تعمل على تحقيق التآزر والمحبة والتعاون والألفة والانسجام، كما تعمل على مساعدة الفرد في التحمل للمسؤولية من أجل الوقوف بوجه مشاكل الحياة الاجتماعية إذ إنها تنمي مشاعر الإحساس الاجتماعي بالمجتمع. وإن حصول أي خلل في طبيعة قيم المسامحة لدى الأفراد سيؤدي إلى تكوين الشخصية المضطربة، ومن ثم فإن الشخصية المضطربة تصبح بنيتها أكثر تفككا واستعدادا لتشرب القيم الأجنبية الوافدة والسلبية، وذلك بدوره يؤدي إلى حالة من التذبذب على مستوى الانتماء الثقافي، وهذا

الوضع ربما يقود صاحبه إلى الانعزال عن مجتمعه ومن ثم يصبح مغترباً عن واقعه الاجتماعي والديني والثقافي.

إن التسامح ليس فضيلة أساسية تمليها التعاليمُ الدينيةُ والفلسفيةُ العظيمةُ فحسب، ولكنه بالأحرى يمثل استجابةً للمتطلبات الاجتماعية والسياسية في أوقات الاضطرابات الأيديولوجية الكبيرة ، التسامح على الوضع المتناقض الماثل في قبول أن يعتقد بعض الناس، وأن يعملوا على نحو يُغايرُ اعتقادَ الآخرين وعملَهم، فالتسامح هو الاعترافُ المتبادلُ بأن الآخر مغايرٌ، والقبول بشرعية وضرورة هذا التغاير، وهو اعتراف نظري وعلمي سواء بسواء. ويعد التسامح من جهة أخرى الصورةَ التي يخضع فيه الفردُ قناعاتِهِ الخاصةَ لضرورات الحياة المشتركة مع أناس يتأكد من أنهم على خطأ أساسي. إن التسامح بالمعنى النبيل لا يستند إلى أساس التساهل ولا الشهامة والضعف، ولا الحساب النفعي أو الذرائعي، إنه الاعتراف بتعددية المواقف الفلسفية الإنسانية، والاعتراف بتنوع الآراء والقناعات والأفعال والأخلاق الناجمة عنها، وبضرورة التوفيق بين تبايناتها الحاسمة وتنافراتها ضمن نظام مدني سياسي. فالتسامح فنُّ عيش مشترك، مع التطلع دوماً إلى الحفاظ على مسافة صحيحة. ويرتبط مفهوم التسامح ارتباطاً عميقاً بمفهوم السلام، فالسلام هو لازمة طبيعية لمفهوم التسامح، فإذا كان السلام هو غيابَ الحرب ووجودَ الأمن، فإن هذا يعني وجود التسامح بوصفه ضرورةً حيويةً لمفهوم السلام، وهذا يعني في نهاية المطاف أن التسامح والسلام هما مفهوم واحد لوجهين متشابهين إلى حد كبير. والعنفُ في النهاية هو الصيغةُ اللغويةُ التي تقابل مفهوم التسامح، فالعنف التعصبي أو العدواني هو نقيض التسامح، وذلك لأن التسامح هو التصورُ الذي يتنافى مع أيّ ممارسة للعنف والقهر والتسلط والعدوان (اركون ،١٩٩٣، ٣٠).

لن تنتظم مسيرة الدولة دون التسامح بين رعاياها، فسيادة التعصب من أكثرية أو أقلية، أو داخل أقلية يَحولُ دونَ ازدهار الوحدة الوطنية وسيادة روح المواطنة بين الجميع. والمجتمعُ مؤلفٌ من أفراد وجماعات إذا ما خرمتهم روحُ التعصب، وتمزقوا بين ملل ونِحل لم يعد المجتمعُ منسجماً أو منتظماً في تقدمه، فالتقدم الاجتماعي هو مظهرٌ لسيادة الحضارة في المجتمع، كما أن الجميع سيشعرون بالارتياح فلا تفرقةَ تنقصهم، وعلى العلماء والمفكرين والباحثين والأدباء والفنانين أن يسهموا بنشاط ملحوظ في حملة استيطان التسامح في ربوع مجتمعاتنا البشرية، وكلُّ واحد من هؤلاء يملك من القدرات والمهارات والفرص ما يشكل طاقةً عظمى في مشروع نقل التسامح من الجانب النظري إلى جانب ثقافة للجميع (أركون: المرجع السابق، ٣٢).

إن الدين الإسلامي من أكثر الأديان التي حثت الإنسان على التسامح، واهتمت كثيرًا بنشر التسامح بين المسلمين، إذ جاءت الكثير من الآيات القرآنية الكثيرة التي تحث على نشر ثقافة التسامح بين الناس وبعضهم بعضا، كما جاء أيضًا في الأحاديث النبوية ما يحث الناس على الاقتداء بالتسامح، وأيضًا تحدث على نشر المحبة بين الناس وبعضهم بعض. إذ إن الشخص الذي يتعامل بتسامح مع كل من حوله يعمل على إرضاء الله تبارك وتعالى، كما أن التسامح والمحبة تعتبر من أهم أبواب نشر الخير في المجتمعات مهما اختلفت أشكالها فإنها تؤدي إلى معنى واحد.

وقد جاء مفهوم التسامح في أماكن مختلفة في القرآن، ومنها: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ، سورة الزخرف، الآية ٨٩﴾، إن كلام الله تبارك وتعالى دليلًا قاطعًا على أن التسامح أمر لابد منه بين جميع الناس، ويحثنا الله تبارك وتعالى في هذه الآية على تجنب الانتقام والمعصية كما وصانا المصافحة مهما أخطأ الشخص فإن الله هو الذي يعدل في الحقوق؛ لهذا السبب يجب علينا أن نترك أمورنا على الله وأن نسامح ونعفو كما أمرنا حتى ننال الجنان في الآخرة. وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من الأحاديث التي تحث على التسامح، وعرفنا أيضًا العديد من المواقف التي تعرض لها رسولنا الكريم وكان يسامح، فإنه سامح من ظلمه، ومن قام بإخراجه من بيته وكان يطلب من الله أن يهديهم وأن يؤمنوا ويتوبوا. إنَّ التسامح الديني ذو بُعد وُجودي، وضروري ضرورة الوجود نفسه، وقد صرّح القرآن بهذه الحقيقة فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ، سورة الحجرات، الآية ١٣) هذه الآية أكدت ما توصَّل إليه الحكماء والفلاسفة، وأثبتها الواقع التاريخي المُشَاهد من أن الإنسان مَدني بطبعه، بمعنى أنها لا تتحقّق حياته ، ولا ينبني كيانه، ولا تكتمل ذاته، ولا يكتسب ما تصبو إليه قدراته إلاّ داخل وسط اجتماعي، ومن ثم كان التسامح الديني أرضية أساسية لبناء المجتمع المدني وإرساء قواعده، على أسس من الحرية في المعتقد، وقبول الاختلاف في الرأي، وتقدير المواثيق الوطنية، وعدم المسَاس بخصوصيات كل أمة أو فئةٍ، وانتهاك لحماها(الغشيمي،سعد،٢٠١٣ ، ١٣)

والتسامح بمعناه الإسلامي يعني المساهلة والتساهل واللين في الأفعال والأقوال، والأساس الفكري الذي يبني عليه التسامح أنه ينبع من سماحة الأفكار التي غرسها الإسلام في عقول المسلمين ولعل أهمها: اعتقاد المسلمين بكرامة الإنسان واختلافهم واقع بمشيئة الله سبحانه وتعالى) عطية،٢٠٠٩، ٩). وهنا يذكر لنا الفيلسوف الألماني (غوته) أن التسامح الذي غرسه النبي محمد (ص) في اتباعه ، كان تسامحا بالمعنى الإلهي ،إذا لم يقف الرسول ضد أعدائه موقفا"عدائيا ، على الرغم من تعرضه للسب والشتم والأذى من اليهود وأصحاب

الجهالة من بني قومه فصار قدوة للآخرين من أتباعه، فاتخذ المسلمون التسامح الديني سمة مميزة لسلوكياتهم وتعاملهم مع الآخرين، تصريح (غوته) الذي يقول :" وللحق أقول إن تسامح المسلم ليس من ضعف، ولكن المسلم يتسامح مع اعتزازه بدينه، وتمسكه بعقيدته (المخزومي، ٢٠٠٩، ٣).

إن الشريعة الإسلامية أقرت مبدأ أصول العلاقات الإنسانية بين المسلمين والأمم الأخرى وترسيخ الاحترام والحريات وذلك منذ أربعة عشر قرنا وعدم التضييق على المخالفين وإرهابهم بدعوة أن الإسلام انتشر بالسيف، ذلك أن الإسلام انتشر عن طريق الدعوة بالتي هي أحسن والمجادلة المقنعة والحوار الهادف البناء والتسامح في المعاملة، ولم يعرف السيف إلا دفاعا عن حرماته ومقدساته من أن تنتهك أو تهان من أعداء الإسلام لأن الجهاد في الإسلام على ضربين:

١-جهاد الدفع، حماية لمقدسات المسلمين من أن تغتصب أو تهاون.

٢-جهاد الطلب كما حصل في الفتوحات الإسلامية

وكل هذا يؤكد أن القواعد التشريعية الإسلامية في فقه العلاقات الدولية والتساكن والتعايش مع غير المسلمين قد سبقت كل قواعد القانون الدولي بأربعة عشر قرنا" فيما يتعلق بالعلاقات الإسلامية (عبد السلام،١٤٠١، ٣١٥).

تزداد أهمية بحث التسامح في عصر العولمة؛ إذ تزداد وتيرة العلاقات والتفاعلات بين الشعوب والمجلات المحتملة من خلال التقدم التكنولوجي في وسائل الاتصال المواصلات ومن خلال برامج اقتصاديات البلدان المختلفة في سوق عالمية واحدة كما تتجلى فكرة إخبار التعاون بوصفه طريقا لتحسين ظروف البشرية استناد على الاعتماد بأن كل فرد وكل جماعة بشرية لديها ما تساهم به في مسيرة التقدم الإنساني إلى تعظيم فائدة العائدة على الجميع (عبد الجواد، ٢٠٠٠، ٥٢).

كلنا نعرف أن التربية هي الأساس في كل شيء، فإن كانت التربية تقوم من الأساس على التسامح سينشأ الطفل محبا للعفو والتسامح للجميع، فعلينا أن نجعله يعرف قيمة التسامح ونعطى له أشياء تحفزه على ذلك لكي يعرف أن هذا له فائدة جيدة عليه، ونعطى له معلومات كثيرة عن التسامح ودروس مستفادة يتعلم منها كيف يسامح، وعندما يغضب نعلمه أن نسامحه لكي يصبح لديه هذه السمة منك أنت ولا يراها غير متواجدة فيك فلا يتعلمها ويرفضها بشدة، ولابد من أن نعرف الطفل قيمة التسامح في الإسلام وكيف أن الله سبحانه وتعالى يكرم المرء على عفوه وسماحه للآخرين ونعرفه بعض الآيات التي تدل على العفو. كل هذا سيجعله ينمو على حب الآخرين ويكره العنف والبغض وسنجده يتحلى بها دون تعب وكل ما كانوا صغارا كان الأمر سهلًا فيما تعلق بنا كثيراً. فالتعليم في الصغر كالنقش على

الحجر فما نزرعه داخلهم من صغرهم سيظل معهم إلى الأبد، ولكن لابد أن يكون التعليم صحيحا ومن دون أي أخطاء داخلية وعلى الأطفال رؤيتنا نتسم بهذه الأخلاق الكريمة دون تصنع لهذه الأخلاق وهي غير موجودة لدينا فيحدث لهم تشوش.

وعلى ذلك فإن المؤسسات الرسمية وغير الرسمية معنية بنشر ثقافة السلام وتأتي في مقدمتها المؤسسات التربوية التي تؤدي دورا مهما في بناء وتعزيز قيم السلام وتعميق مفاهيمه، ونشر ثقافته، وقد تكون لها دور عكسي في تكوين التصورات والانطباعات السلبية، مما يكشف عن أزمة تربوية تكمن في قصور التربويين عن القيام بدورهم أحيانا في تحقيق التقارب بين الشعوب (طعيمة، والشيخ، ٢٠٠٧، ٦٣).

يحتاج الأفراد والمجتمعات أيضاً إلى التعاون للوصول إلى أهدافهم، ولتحقيق ذلك فهم يحتاجون لفهم بعضهم بعضا، واحترام الاختلافات التي لابدّ من وجودها، وقبول الآخرين بمعتقداتهم وتنوعهم في ثقافاتهم وديانـاتهم وأساليب حياتهم. ولا يمكن تحقيق ذلك إلّا بالوصول إلى الثقة بالنفس، والشعور بالسلام، والبحث عن نقاط اللقاء والتكامل، والابتعاد عن التعصب لدين أو فكر أو أيديولوجية معينة.

ونظرًا لأن التسامح من الصفات الحميدة التي تنشر المحبة بين الناس، لهذا ذكر الله تعالى التسامح في أكثر من موضع وأكثر من آية في القرآن الكريم، ومن الآيات التي وردت في القرآن التي تشير إلى التسامح ما يأتي:

ذكر الله سبحانه وتعالى في محكم كتابة العزيز ((ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (سورة النحل ١٢٥)) ويقول تعالى أيضا ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (سور الأعراف ١٩٩)، وقوله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،سورة البقرة ،آية ١٠٩}.

وقوله تعالى أيضا: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ، سورة آل عمران، آية ١٥٩}.

تبين هذه الآيات أن ثقافة التسامح فضيلة إنسانية إسلامية حث عليها الدين الإسلامي وغرسها في نفوس وضمائر البشر من أجل التخلي عن المشاكل الاجتماعية والنفسية والثقافية والدينية كالكراهية والحقد والضرب والعنف والقلق التي تترك آثاراً في حياة الأفراد داخل المجتمع.

وعند استقراء البعد الاجتماعي في النصوص القرآنية نجد أن ثقافة التسامح قيمة إنسانية أكد عليها الإسلام في الكثير من المواقع في القرآن الكريم، وفي الوقت نفسه هي قيمة اجتماعية راقية تتجسد من خلال الثقافة الإسلامية التي تدعو إلى الوحدة والتماسك والاستقرار المجتمعي الذي يتحقق من خلاله الأمن المجتمعي الذي يكفل وجود أبناء المجتمع وتفاعلات بعضهم مع بعض الآخر على الرغم اختلاف عقائدهم الدينية، وتوجهاتهم الأيديولوجية رافضين أي شكل من أشكال التطرف والعنف الذي يخلق حالة من التوتر والصراع الذي يؤدي إلى حالة من عدم التوازن والاستقرار المجتمعي.

ولأجل تحقيق ثقافة التسامح يجب أن تؤدي مؤسسات المجتمع المختلفة دورها في تجسيد وترسيخ هذه القيمة. وهنا تؤدي الأسرة دورها في غرس هذه القيمة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية. وتعَد الأسرة الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل ويتفاعل مع أفرادها، ومن ثم فهي تؤثر في النمو الشخصي في المراحل الأولى من حياته، ولذلك تعد المسؤولة عن بناء الشخصية الاجتماعية والثقافية للفرد، بل إن تأثيرها ينفذ إلى أعماق شخصية الفرد ويمسها في مجموعها.

وإذا كانت الأسرة هي النواة الأولى لعملية التنشئة الاجتماعية والتي تتولى تنشئة أطفالها أو أفرادها في مراحلهم العمرية المختلفة، فإن نمط العلاقات الإنسانية القائم داخل هذه الأسرة هو الذي يحدد طبيعة القيم التي سيتشبع بها الفرد، من تعلم للتسلط والاتكالية والعجز والاعتماد على الآخرين، وسهولة الانقياد لضعف الشخصية، أو على طرف النقيض من ذلك من تعلم لقيم النقاش والحوار والتسامح وقبول الآخر، وقوة الشخصية والقدرة على الابتكار والإبداع، مما يجعل التساؤل مشروعا في هذا المجال بشأن الدور الذي تؤديه الأسرة في تقبل الآخر وعدم التسلط على أفكاره وقبول قيم التسامح، وتعزيز التوازن والاستقرار المجتمعي.

يتعاظم دور الأسرة في تربية الطفل وتنشئته تنشئة اجتماعية سوية في مرحلة الطفولة المبكرة، بعدها أول نواة وجماعة أولية ومؤسسة اجتماعية يعيش في ظلها الطفل، ومن خلالها يكتسب العديد من الخبرات التي تشكل الأساس للعديد من المفاهيم عن نفسه وعن الآخرين والعالم من حوله. إذ إنه يرى المجتمع الخارجي من خلال عيون الوالدين والأخوة الذين يشكلون الأسرة النووية الصغيرة. وبما أن معظم ما يتعلمه الطفل من سنواته الأولى له صفة الثبات والاستمرارية، فإن نظرة الطفل ومفهومه عما يجري من حوله في بيئته الاجتماعية القريبة والأبعد في السنوات اللاحقة تعتمد إلى حد كبير على ما تكون لديه من مفاهيم وقيم واتجاهات في الطفولة المبكرة أي في أسرته بشكل أساسي (محمد ،٢٠٠٧، ٢٢). فإذا ضعفت الخلية الأساسية في المجتمع ضعف مصدره ونقطة ارتكازه، أي أن الأسرة التي

أصيبت بأمراض فكرية وأخلاقية متعددة المصادر والمرجعيات، تثمر انحلالاً أخلاقياً، وانحطاطاً فكرياً وإنسانياً في العلاقات الإنسانية لم يشهد له مثيل، يطغى عليها التمزق والتشتت، ويغيب التكامل الاجتماعي بين مختلف أوساط المجتمع، وتصير الأسر محطمة وتبدأ العائلات بالتفكك وينتشر الطلاق وتقل نسبة الزواج، وتنتشر الفاحشة وتتعدد أنواع العلاقات غير الشرعية، كل هذا يثمر تمزقاً في أوصال المجتمع وهو ما أوصلنا إلى ما نحن عليه(قنديل، ٢٠٠٦، ٢٩) .

والتسامح بين أفراد الأسرة يقتضي قدرا من التفاهم المتبادل، فالفهم هو الشعور بالمقدرة، وترسيخ صورة المقدرة هذه لدى الإنسان أي إنسان كان صغيرا أم كبيراً، يجعل منه إنساناً متفهماً يأخذ في حسبانه مسبقاً ظروف الآخر واحتياجاته قبل أن يأخذ منه موقفاً. من هنا بإمكاننا القول: إن الأسرة هي صورة مصغرة وأنموذج عن المجتمع، في هذا الأنموذج أو بشكل أدق في هذه الخلية الاجتماعية توجد المعايير الأكثر أهمية للعلاقات البشرية المتبادلة أو لا توجد. وهذه المعايير هي التي تتحكم بسلوك الإنسان لدى تماحكه مع الآخر، والتسامح بين أفراد الأسرة يرسخ في نفوسهم هذه الطبيعة ويدفعهم لممارستها اجتماعياً، فالعلاقات الاجتماعية ليست مرسومة بالمسطرة، لتتحكم بمقاساتها المليمترات، إنها مرهونة بظروف كل فرد من أفراد المجتمع (الفتياني،٢٠١٥، ١١١).

تتجلى ثقافة التسامح بوصفها إحدى أهم الضرورات الإنسانية والأخلاقية في الواقع المعاصر بعد أن استشرت ظاهرة العنف وظاهرة تهدم العلاقات الاجتماعية على كافة الأصعدة، وبعد أن أصبح الكبار والصغار على حد سواء إما ضحايا أو مجرمين بسبب هيمنة لغة العنف على الواقع المعاصر، وغياب المثل والقيم الدينية والأخلاقية، الأمر الذي يجعل الفرد في عالمنا المعاصر يعاني من القلق حول كيفية التعامل مع الآخر الذي قد لا يتفق معه في أفكاره في بعض الأحيان، وقد يبدو الإنسان المعاصر حائرا في التصرف في المواقف الشائكة بعد أن أسهمت بعض الظروف المجتمعية الحديثة في غرس بعض المفاهيم السلبية عن الواقع الذي يعيشه والذي يعاني من تداخل مجموعة من الثقافات المختلفة التي لا تعلمه مهارات التفاعل الاجتماعي الصحيحة، ومن ثم يبقى الفرد قلقا بشأن كيفية رسم سلوكياته مع الآخر. وهل يواجه العنف الذي يتعرض له بالأسلوب نفسه، أم أنه لابد أن يتعلم التريث إزاء المواقف الصعبة وأن يلتجأ إلى لغة الحوار والتفاهم هذا إذا كان ينظر إلى الآخر على أنه مثله في الإنسانية ومن حقه أن يمتلك التباين معه في الرأي والتعبير، وهذه الثقافة التي تبدو هي الحلقة المفقودة في الواقع المعاصر بسبب التوجيه المكثف للإعلام نحو ثقافة العنف وبسبب غياب مفاهيم حياتية في بعض مجتمعات عالمنا المعاصر اليوم مثل حقوق الإنسان وكرامة الفرد وغيرها.

إن التسامح هو أحد سبل تعزيز العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، والتسامح يعني عفو الإنسان وحلمه عمن يؤذيه ويسيء معاملته أو يختلف معه في الرأي والعقيدة والذي قد يكون هو المنطلق في الإساءة والأذى من باب رفض الآخر المخالف. فالتسامح إذاً يعني القدرة على التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، وإدارة الخلاف بصورة تعترف بالآخر ولا تلغيه. لأن لغة العنف تعني إلغاء الآخر، أما لغة التسامح فتقوم على مبدأ الاعتراف بالآخر، ولكن عبر مجالات يتطلبها البناء الإنساني والاجتماعي.

إن ترسيخ ثقافة التسامح في المجتمع يؤدي إلى شيوع الأمن ، لأنه يسهم في تقليل العنف والتطرف تجاه الآخرين، أو عدم اللجوء إلى العنف كحل للمشكلة التي يعاني منها الفرد أو الجماعة في موقف معين، ولعل هذا الأمن هو أهم احتياجات الفرد سواء في الأسرة أو المجتمع.

ولذلك يجب التفكير في موضوع مهم من شأنه أن يحقق الأمن والتوازن المجتمعي وهو كيف يمكن أن نجسد ثقافة التسامح في حياتنا. والحقيقة التي يجب الاعتراف بها هي أن إشاعة ثقافة التسامح إنما تبدأ من الأسرة باعتبارها الخلية الأولى التي تتكون فيها شخصية الطفل، فالبيت له أثر كبير في هذا الجانب فإذا كانت العلاقة بين الآباء والأبناء تقوم على لغة التسلط والإكراه والاستبداد فمن البديهي أن البيت الذي تغيب عنه أجواء التسامح يكون عاملا في نشر ثقافة العنف في جو ديكتاتوري، لهذا يتعلم الأبناء الاستبداد بالرأي وعدم احترام الآخر أو رأيه، كما أن النظام التسلطي سواء في الأسرة أو في مؤسسات المجتمع المختلفة يعدّ من أحد أسباب انتشار لغة العنف وغياب الأمن وانعدام الثقة بين الأفراد؛ لأن هذه الأجواء تعزز الشعور بالبغض والحقد والانتقام. ومن الضروري في هذا المجال أن تعلم الأسرة الأبناء الكثير من الأمور عن طريق الإقناع أو التوجيه الصحيح فإذا غاب هذا المفهوم فإن العقوبات والتهديد ستؤدي إلى تنفيذ الأوامر ربما لكن مع تعزيز الرغبة بالانتقام وممارسة العنف مع الآخرين لإثبات الذات التي افتقدها بسبب أساليب المعاملة الوالدية القاسية داخل الأسرة.

إن تنشئة الطفل وتربيته على الاعتزاز بالهوية وعلى الشعور بالانتماء الحضاري والإنساني مع التشبع بثقافة التآخي والتسامح واحترام وحب الآخرين والانفتاح على المجتمعات الأخرى ونبذ التعصب بجميع أشكاله الدينية والمذهبية والطائفية والعرقية هي مسؤولية الحاضنة الأولى للطفل، أي الأسرة ومن ثم المدرسة والمجتمع بصورة عامة. ولتحقيق هذا الهدف ينبغي على الأسرة والمدرسة بصورة خاصة والمجتمع بصورة عامة التركيز على تكوين شخصية استقلالية معتزة بنفسها وصادقة وواثقة ومتواضعة وبعيدة عن التعصب والعنف بجميع أشكاله.

إن الحياة الاجتماعية في بعض مجتمعات عالمنا المعاصر اليوم مبنية في إطار سلسلة مترابطة من علاقات التسلط والعنف وروح الإذعان والاتكالية المنتشرة سواء داخل الأسرة أو في المؤسسات المجتمعية تؤثر بشكل كبير في طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع ذاتها، فيصبح من الطبيعي للإنسان الذي يعاني من ذلك أن يصبح عنده إحساس بالعجز وعدم القدرة على المشاركة في اتخاذ القرارات.

أما التسامح فيتمثل بالمرونة، والتكافؤ، والعدل، والمساواة. ويطلق على الجانب الأول من العلاقات علاقات التسلط والقوة، وعلى الجانب الآخر العلاقات الديمقراطية، وهنا يمكن القول بأن أسلوب الشدة لا يتوافق مع متطلبات النمو النفسي والانفعالي عند الأطفال، بل يؤدي أحيانا إلى ضعف شخصية الطفل، والضعف، والإحساس بالقصور، وإلى تنمية الروح الانهزامية عنده، وعندما تلجأ الأسرة إلى أسلوب الشدة أو العنف أو الإهمال فإنها تمارس دوراً سلبياً يتناقض مع مبدأ خفض التوتر النفسي الدائم عند الأطفال، ويؤدي أسلوب الشدة أحيانا إلى تحقيق مبدأ الاغتراب النفسي الانفعالي عند الأطفال وإلى خلق حالة من التوتر والقلق التي تؤثر في قرارات الفرد المتخذة بشأن كيفية وأسلوب التعامل مع الآخرين.

في عالمنا المعاصر اليوم تزاد فيه حالات التنوع والاختلاف ويزداد فيه التناقض ، وتتراجع فيه مشاعر أحيانا مبادئ الثقة والإحساس بالأمن، وتتعاظم فيه بوادر القلق والخوف عّما هو الأسلوب الذي يمكن تبنيه في كيفية التعامل مع الآخرين ؟، أو ما هي الوسائل أو الطريقة المناسبة التي يمكنها أن تسمح للأفراد في المجتمع بالمشاركة الفعلية في الحياة الديمقراطية وفي اتخاذ القرار بما يضمن مصالحهم ويلبي حاجاتهم؟، وما هي الأساليب التي يجب تفعيلها والتي تمكن أفراد المجتمع من الحياة معا في مجتمع متعدد الثقافات؟، وماذا يمكن تفعليه من أساليب تجعلهم قادرين على مواجهة الصراعات والتناقضات وكل مظاهر العنف والإرهاب؟، وفي الوقت نفسه كيف يمكن احتواء الصراعات الدينية والتناقضات الثقافية في المجتمع بطريقة فعالة تمّكن كل فرد من أفراد المجتمع أن يمتلك الحق في تطوير نفسه وقدراته وتلبية مطالبه الإنسانية، وأن يكون لكل فرد في المجتمع دور مهم في تحقيق التوازن والاستقرار المجتمعي.

ولأجل تحقيق هذا الهدف يتطلب بناء نظام للتواصل يقوم على مبدأ التسامح، ويتميز بقدرته على ترسيخ قيمه وفضائله. فقيمة التسامح تمكّن الأفراد من تقييم أفعالهم الخاصة وتوجيهها على نحو إنساني. ومن ثم فإن اكتساب المعارف والمهارات اللازمة لتعزيز قيم التسامح تسهم بشكل كبير في إضعاف وتجنب كل أشكال العنف والصراع والتحدي. ومن متطلبات التسامح أن يشعر المتسامح بقيمته الذاتية وبقيمة الآخر، أي بأهميته الذاتية وأهمية الآخر معا، وأن يرافق ذلك شعور بأنه قادر على تقديم العون الضروري للآخر بالدرجة

نفسها التي يحتاج فيها هو نفسه إلى عون الآخر ودعمه في مجال الحياة الاجتماعية والإنسانية. وهذا يعني أن العلاقة بينهما تقوم على مبدأ المنفعة الإنسانية المتبادلة بين أطراف العملية الاجتماعية، هذا المبدأ الإنساني يجب أن يقوم على أساس التسامح الخلاق، وأن التربية على التسامح هي بالضرورة تربية على الديمقراطية وقيمه والتي تتحمل مسؤوليتها الأسرة ومؤسسات المجتمع الأخرى التي يجب أن تسودها روح التعاون والتضامن والتي تتيح للإنسان العيش بحرية وكرامة مقدرا لنفسه وللآخرين، رافضا لأي شكل من أشكال العنف والتطرف والتجاوز على حقوق وممتلكات الآخرين. وعندما تتوفر لأفراد المجتمع جميعا الرغبة في العيش بسلام يتحتم عليهم تجسيد ثقافة التسامح في حياتهم وفي علاقاتهم الاجتماعية في المواقف المختلفة والتي يتحقق من خلالها الأمن والسلام المجتمعي. ويجب أن يربى النشء الجديد على التسامح قولاً وممارسة، وتقع مسؤولية ذلك على عاتق الأسرة ومؤسسات المجتمع التربوية والدينية والإعلامية المختلفة المرئية والمقروءة والمسموعة.

ومن خلال ما تقدم عرضه أوضحت الدراسة بعض النتائج التي تعَد بمنزلة إجابة عن تساؤلات الدراسة وهي:

١-أوضحت الدراسة أن هناك أشكالا متعددة للعنف منها العنف الديني والثقافي، والسياسي، والاجتماعي، والفكري، وجميعها تؤثر على الأمن والاستقرار المجتمعي.

٢-لأجل تحقيق الأمن والسلام المجتمعي يجب تأكيد أهمية وضرورة نشر ثقافة التسامح بين أبناء المجتمع. وهنا يأتي دور الأسرة في تعزيز قيمة التسامح، لأن للأسرة دورا كبيرا ويقع على عاتقها تنشئة الأبناء وغرس القيم وتثبيتها ومن أهمها التسامح واحترام الآخرين، وأيضاً هي الأساس في ترسيخ وإرساء ثقافة الحوار، كما لابد أن تعمل على مكافحة ونبذ العنف والكراهية والتمييز بأشكاله كافة، وتليها المدرسة من أهم ثاني المؤسسات المتممة لدور الأسرة التي بلا شك قادرة على إيصال رسالتها في بيان أهمية التسامح من خلال تضمين المناهج التربوية قيم ثقافة التسامح.

٣-الأمن والسلام المجتمعي لا يتحقق إلا بقناعة أبناء المجتمع بخطورة العنف والتعصب والتطرف على الأمن والاستقرار المجتمعي، وفي الوقت نفسه قناعتهم بضرورة نشر ثقافة التسامح.

٤-أوضحت الدراسة بأن إشاعة التسامح تعمل على تقوية المجتمع وتعزيز الاحترام المتبادل بين المجتمعات الأخرى، وبالتالي تعمل على الحد من النزاعات والخلافات بين الأفراد، ولذلك لابد من السعي لتأسيس الأجيال القادمة على التسامح واحترام وجود الآخرين؛ ذلك لأن لثقافة التسامح أثرا في الفرد والمجتمع. أن الفرد المتسامح يتمتع بالاحترام والتقدير من أفراد المجتمع ، كما يجعلهم متحابين متوادين فيما بينهم، ويمتد أثرها الإيجابي على الصحة

النفسية للإنسان التي يعمل على إزالة الحقد والبغض وينعم بالراحة والسكينة، ويكون هو قدوة حسنة لمن يعيشون حوله فهو ينشر هذه القيمة ويبث فيهم روح الاحترام والإيجابية، والتسامح بين أفراد المجتمع له آثار إيجابية لتحقيق توازن واستقرار وازدهار المجتمع، وتعميق العلاقات وتقليل الخلافات، ونسبة كبيرة من الأسر يعمل التسامح فيها على التخلص من سوء الظن والعادات غير المستحبة منها الحقد والكراهية.

٥-تشهد بعض مجتمعات العالم اليوم حالات من الفوضى والتعصب والإرهاب مدفوعة أحيانا بتوجهات أيديولوجية أو عقائدية أحيانا، وهذه بالنتيجة تؤثر في حياة المجتمعات وتعطل مسيرة المجتمع فيها. ولأجل تحقيق الاستقرار والتوازن المجتمعي:

أ-يجب الاعتراف بوجود الآخرين وحقهم في العيش بحرية وكرامة.

ب-احترام ثقافة الآخرين وتوجهاتهم الدينية والأيديولوجية.

ج-العمل الجماعي على رفض أي شكل من أشكال العنف والتطرف الذي يهدد الأمن والاستقرار المجتمعي.

٦-التأكيد على أهمية غرس وتجسيد ثقافة التسامح بين أفراد المجتمع قولا وممارسة فعلية، وتقع هذه المسؤولية على عاتق الأسرة ومؤسسات المجتمع المختلفة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. ابن سيده؛ أبو الحسن (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط. ١، ج ١.
٢. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (١٣٩٣ هـ)، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع – تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر، ط. ٢.
٣. ابن فارس؛ أحمد بن فارس (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج ٢ .
٤. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (١٤١٤ هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط. ٣، ، ج ٢.
٥. أبو حماد، ناصر الدين (٢٠٠٨)، تعديل السلوك الإنساني وأساليب حل المشكلات السلوكية، عالم الكتب الحديثة، عمان، الأردن.
٦. أبو حميدان، يوسف عبد الوهاب(٢٠٠٣) ،تعديل السلوك : النظرية والتطبيق، دار المدى ،عمان.
٧. أبو مصلح، عدنان (٢٠٠٦)، معجم علم الاجتماع، عمان، دار المشرق الثقافي.
٨. أبو هاشم، عماد (٢٠١٣)، خبرات الطفولة وعلاقتها بالتسامح مقابل التعصب لدى طلبة المرحلة الثانوية، جامعة الأزهر، رسالة ماجستير، غير منشورة.

٩. أركون، محمد (١٩٩٣)، الإسلام واختلاف النماذج، مجلة رسالة اليونسكو، يونيو١٩٩٢م، باريس.
١٠.الأزهري، محمد بن أحمد، أبو منصور (٢٠٠١)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط. ١، ج ٢.
١١.البداوي، حميد (٢٠٠٨)، ثقافة التسامح وجدلية العلاقة بين الأنا والآخر، مجلة السياسية الدولية، العدد ٨، الجامعة المستنصرية.
١٢.بدوي، أحمد زكي (١٩٧٨)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان.
١٣.الجابري، محمد عابد (٢٠٠٧) قضايا في الفكر المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٣.
١٤.الجبوري، نظله أحمد (٢٠٠٩)، التسامح مقولة أخلاقية ومقاربة فكرية عقائدية، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر الأديان السنوي الاول – بيت الحكمة.
١٥.الجبوري، ولاء مهدي (٢٠٠٩)، اللاتسامح وأزمة الفكر العربي المعاصر، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الفلسفي الثامن – بيت الحكمة.
١٦.الجوهري، عبد الهادي (١٩٩٨)، قاموس علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
١٧.حسين، هناء محمد (٢٠١٠)، مفهوم التسامح في الأديان السماوية، بحث منشور ضمن اعمال مؤتمر الاديان السنوي الاول، بيت الحكمة.
١٨.الدليمي، صالح سمير (٢٠١٣)، القيم الدينية والضبط الاجتماعي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد الأول، ٢٠١٣.
١٩.ديلو، ستيفن (٢٠٠٨)، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني، ترجمة فريال حسن، القاهرة، مكتبة مدبولي.
٢٠.الرازي، محمد بن أبي بكر (١٤٢٠هـ –١٩٩٩م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط. ٥، ج ١.
٢١.الزبيدي، مرتضى (١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج ٦.
٢٢.زقزوق، محمود حمدي (٢٠٠٤)، التسامح في الإسلام، التسامح في الحضارة الإسلامية، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٢٣.الزمزمي، محسن (٢٠٠٧)، التسامح في القرآن الكريم.
٢٤.سعيد، مراد (٢٠١٨)، مبادئ العفو والتسامح، جامعة صلاح الدين، رسالة ماجستير، غير منشورة.
٢٥.شعبان، عبد الحسين (٢٠٠٥)، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي، بيروت، دار النهار للنشر، الطبعة الأولى.
٢٦.الشيخ، خليل (٢٠٠٣)، حديث التسامح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العدد الأول.

٢٧.صبري، عكرمة (٢٠٠٤)، التسامح الإسلامي بين النظرية والتطبيق من نصوص الكتاب والسنة، التسامح في الحضارة الإسلامية، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٢٨.صبيح، تماضر (٢٠١٢)، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالعدائية لدى طالبات المرحلة الإعدادية، جامعة ديالي، رسالة جامعية، غير منشورة.
٢٩.صليبا، جميل (١٩٨٢)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب – بيروت.
٣٠.طعيمة، رشدي أحمد، والشيخ، محمد عبد الرؤوف، (٢٠٠٧)، ثقافة التسامح في ضوء التربية والدين، دار الفكر العربي، القاهرة.
٣١.عباس، على (٢٠١٨)، التسامح في بعض الحضارات القديمة، جامعة بغداد، رسالة ماجستير، غير منشورة.
٣٢. عبد السلام، جعفر (١٤٠١ هـ)، قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية، مكتبة السلام العالمية، القاهرة.
٣٣.عبد الوهاب، أشرف (٢٠٠٦)، التسامح الاجتماعي بين التراث والتغير، سلسلة العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٣٤.عثمان، زياد (٢٠٠٨)، السلم الأهلي الوجه الآخر لثقافة التسامح. مجلة تسامح، (١١).
٣٥.عزالدين، حسن السيد (٢٠٠٨)، المجتمع المدني في الفكر الإسلامي، مركز النجف للثقافة والبحوث، ط١
٣٦.عطية، محمد صالح (٢٠٠٩)، التسامح الإسلامي دحض لشبهات وتقرير لشهادات، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر الأديان السنوي الأول، بيت الحكمة.
٣٧.عفيفي، عبد الخالق محمد (٢٠٠٧)، الممارسات المهنية لطريقة تنظيم المجتمع، ط١، المكاتبة العصرية للنشر، مصر.
٣٨.العميان، محمد سليمان (٢٠٠٥)، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال، ط٣، دار الحامد، عمان، الأردن.
٣٩.الغشيمي، عبد الواسع محمد غالب، سعد، أمير فاضل (٢٠١٣)، التسامح الإسلامي قراءة في معطياته الفكرية وآثاره الواقعية في ضوء الكتاب والسنة، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٢١)، فبراير.
٤٠.غيث، محمد عاطف (٢٠٠٦)، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
٤١.الفتياني، تيسير محجوب ياسين (٢٠١٥)، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، المجلد (١٥)، العدد ٣.
٤٢.القصراوي، بركان (٢٠٠٥)، ثقافة التسامح في المناهج الفلسطينية. مجلة تسامح، (١١).
٤٣.قنديل، محمد متولي وآخرون (٢٠٠٦)، مدخل إلى رعاية الطفل والأسرة، عمان، دار الفكر .
٤٤.لسنغ، سليفيا هورش (٢٠٠٦)، الإسلام والعقلانية والتسامح، مجلة التسامح، عمان، العدد (٤)، ٢٠٠٦.

٤٥.محمد، عمر فاروق (٢٠١٧)، تنمية قيم التسامح لدى طلاب التعليم الثانوي الصناعي، جامعة الأزهر، العدد ٧١٦، الجزء الأول.

٤٦.محمد، هدى (٢٠٠٧)، الأسرة وتربية الطفل، الأردن، دار المسيرة، ط١.

٤٧.المخزومي، عادل (٢٠٠٩)، التسامح الديني في الإسلام وآراء المفكرين المستشرقين، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر الأديان السنوي الأول – بيت الحكمة.

٤٨.وطفة، علي أسعد (٢٠٠٥)، التربية على قيمة التسامح، مجلة التسامح، العدد١١، سلطنة عمان.

٤٩.وطفة، علي أسعد، شريع، سعد رقيان شريع (٢٠١٢)، تحديات التعصب وخلفياته الثقافي في المجتمع الكويتي، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، ع١.